وقد طرقتني النائبات بحادث ... لو ان الصفا يرمى به لتصدعا
أراع ولم أذنب وأجنى ولم أخن ... وقد صدق الواشي فأخنى وأقذعا
ولست وإن عض الزمان بغاربي ... أطيل على الضراء مبكى ومجزعا
إذا ما أغام الخطب لم أتحفل به ... وضاجعت فيه الصبر حتى تقشعا

ولماذا يذل ويخضع ، وهو إن ضاقت عنه بلدة فستتسع له أخرى ، وحسب البلدة عاراً أن يرحل الشاعر عنها ، وإن أدلت عليه بابل بسحرها الحرام ، فهو يدل عليها بسحره الحلال ، ويجعل من شعره حيثما حلّ بابل ...

أبابل لا واديك بالرفد منعم ... لدينا ولا ناديك بالوفد آهل
لئن ضقت عنا فالبلاد فسيحة ... وحسبك عاراً أنني عنك راحل
وإن كنت بالسحر الحرام مدلة ... فعندي من السحر الحلال دلائل
قواف تعير الأعين النجل سحرها ... فكل مكان خيمت فيه بابل
وأي فتى ماضي العزيمة راعه ... ملوكك لا روّى رباعك وابل

* * *

وبعدُ ... فاسمع الشاعر نفسه يصف لك شخصيته ، ويخبرك أنه يمدح ويأخذ ، ولكنه أعزّ من أن يملكه الملوك بثوابهم ونوالهم ، وأنه لا يستسيغ الذلّ ولا يحب أن يتمرغ فيه ظهراً لبطن ، ولا يألف حياة الدعة والأمن في ظلّ الروض بين الكاس والطاس ، ولا يفرق من المنايا ويخشى المهالك ، ولكنه يريد أن يثيرها حرباً عواناً في سبيل غاياته ومطامحه :

سواي يجرّ هفوته التظنى ... ويرخى عقد حبوته التمنى
ويلبس جيده أطواق نعمى ... تشف وراءها أغلال منّ
إذا ما ساءه اللؤماء ضيما ... تمرّغ في الأذى ظهراً لبطن
وظلّ نديم عاطية وروض ... وبات صريع باطية ودنّ
وأشعر قلبه فرق المنايا ... وأودع سمعه نغم المنى
وسلسلة اللجام لدى أحرى ... بعز في مباءته مبنّ
فلست لحاضن إن لم أقدها ... عوابس تحت أغلمه بكنّ
. . . . . .
وهأنا أوسع الثقلين صدرا ... ولكنّ الزمان يضيق عني

* * *

هذه شخصية الأبيوردي وهذا شعره ، أفيستحق أن يهمل وينسى ؟ ...

(دمشق) علي الطنطاوي

٢ ـ أثر الحرب الكبرى في بريطانيا

للأستاذ رمزي ميور

أستاذ التاريخ الحديث في جامعة منشستر سابقاً

ترجمة الأستاذ محمد بدران

ناظر مدرسة عباسية الابتدائية

كذلك لم يعد لبريطانيا بعد الحرب ذلك السلطان الكبير الذي كان يوليها إياه تفوقها التجاري على أمم العالم أجمع . نعم إنها لا تزال تمتلك وتسيّر ثلث سفائن العالم ، وذلك لأنها أوسع أسواق الأرض حرية ، لكن نصف سفنها معطل ؛ وقد خسرت جزءاً كبيراً من تجارتها الخارجية التي تعوّل عليها في حياتها وإن كانت صادراتها (منسوبة الى عدد السكان) لا تزال ضمن صادرات أكبر الأمم المنافسة لها تقريباً . على أن ما فقدته من تجارتها الخارجية إذا رجع بعضه الى خطأ ارتكبته فلا يرجع كله أو جله إلى ذلك الخطأ . ذلك بأنها في أثناء الحرب اضطرت أن تضحي بمعظم أسواقها الخارجية لكي تركز جميع قواتها القومية في الأعمال الحربية . وذلك الفراغ الذي تركته شغلت بعضه أمم أخرى (كاليابان والولايات المتحدة) لم يُنقِص ظهرها عبء الحرب وشغّل البعض الآخر ما قام من الصناعات القومية على أنقاض الواردات البريطانية . فلما وضعت الحرب أوزارها أقيمت لحماية هذه الصناعات حواجز من الضرائب الجركية العالية ، وأخذت الأمم جميعها في داخل أوربا وخارجها تعمل « للاكتفاء بنفسها » ، فأدى ذلك العمل الى النتيجة السالفة الذكر ؛ وكان من جراء ذلك أن بريطانيا التي لا أمل لها في أن تكتفي بنفسها والتي لا تستطيع أن تحيا إلا بالاتجار مع العالم أجمع تجارة واسعة ، انحطت الى المنزلة التي انحطت اليها مدنية (وبانة) بعد الحرب . لقد كانت بريطانيا كما كانت وبانة تعتمد في رخائها على موقعها في

ملتقى الطرق التجارية الكثيرة فنالها ما نال وبانة بعد أن أقيمت الحواجز المتعددة فى هذه الطرق التجارية ، وإلى هذا يرجع معظم السبب فى ازدياد عدد المتعطلين . وقد بلغ من خطورة هذه الحال الجديدة أن أخذ قسم كبير من الرأى العام يدعو الى ترك نظام الحرية التجارية الذى تسير عليه بريطانيا واتباع سياسة « الاكتفاء بالنفس » التى تتبعها البلدان الأخرى . ولما كانت بريطانيا لا تستطيع أن تكتفى بنفسها إلا إذا خلصت من نصف سكانها فقد قويت فيها الدعوة الى التوسل لتلك الغاية ، غاية الاكتفاء بالنفس اكتفاء تاماً — بتوحيد الامبراطورية من الناحية الاقتصادية . فاذا ما رضيت أجزاء الامبراطورية بأن تتخلى عن مسماها للاكتفاء بنفسها — وبعيد أن ترضى بذلك فى القريب العاجل — كان معنى رضائها أن بريطانيا تضعف باختيارها أو قل تعطل ثلثى تجارتها الخارجية لكى تتفرغ إلى إنماء الثلث الباقى ؛ وإذا فعلت ذلك فانها تكون قد تحولت تحولا تاما عن السياسة التى قام عليها النظام الاقتصادى البريطانى حتى الآن

هذه التطورات تعد فى مجموعها انقلاباً خطيراً فى مركز بريطانيا ومبادئها يتطلب تعديلاً فى سياستها القومية ، ولاشك فى أن بريطانيا تجتاز الآن أزمة بل خطراً قومياً شديداً . على أن كل تغيير بمفرده لا يعد خطيراً فى ذاته . فاذا كان مركز بريطانيا الجزرى لم يعد يكفل لها السلامة فان سياسة عالمية رشيدة تكفل لها سلامة أبقى وأعظم ؛ ولا يزال موقع هذه الجزيرة فى وسط أهم الطرق التجارية البحرية وفى قلب العالم المتمدين تقريباً خير موقع جغرافى يتمتع به بلد على وجه الأرض . وإذا لم تكن بريطانيا الآن سيدة البحار بلا منازع فان ذلك لا أهمية له إذا بقيت البحار فى سلام . وإذا لم تكن لها « السيطرة على امبراطورية فان خيراً من هذه السيطرة أن تكون هى القلب النابض لمجموعة من الأمم الحرة على شريطة أن تنظم هذه المجموعة تنظيما يمكنها من أن تتعاون تعاوناً حراً . وقد تكون بريطانيا وراء غيرها من الأمم فى اتباع أحسن وسائل التنظيم الصناعى ، ولكن هذا أمر يستطاع تداركه بالعمل والحكمة . وإن اندماج أجزاء مقاطعاتها الصناعية وقربها من الثغور التى تستمد منها حاجاتها ومن مصادر القوى اللازمة لها ، كل ذلك يكسبها ميزات عظيمة إذا أحسن الانتفاع بها . وقد لا تجد بريطانيا فى بلادها حاجتها من الزيت أو القوى المائية . ولكن العلم والعمل كفيلان باستخراجهما من مناجم فحمها الغنية ؛ وربما كان النقص قد اعترى قدرتها المالية ، ولكن هذه القدرة لا تزال عظيمة برغم هذا النقص ، وفى الامكان زيادتها إذا اتخذت الوسائل الكفيلة بتشجيع الادخار ؛ وإذا أحسن توحيد مجهودها القومى بقيادة رشيدة فان هذا المجهود خليق بتخفيف عبء الضرائب الذى لا يزيد كثيراً على ما كان عليه منذ مائة عام إذا روعيت النسبة بين العهدين . كذلك لا يرجى أن تحتفظ بريطانيا بما كان لها من تفوق عظيم فى التجارة العالمية ، ولكن إذا أيقن عمالها والمشرفون على الصناعة فيها أن الواجب يقضى عليهم بأن يقاوموا كل منافسة شريفة بكفايتهم وحدها وأن يكونوا أنداداً لمنافسيهم وأن ينظموا بيوتهم ، إذا أيقنوا بذلك استطاعت بريطانيا أن تستعيد من الأسواق ما يضمن لأهلها ارتقاء مطرداً فى مستوى معيشتهم ، وأن تنمى مواردها وموارد الامبراطورية نماء عظيما

ولكن يلوح أنها إذا شاءت أن تنال هذه الأغراض فان عليها أن توجه إليها مجهوداً قومياً عاماً شبيهاً بالمجهود الذى أنالها النصر فى الحرب . ولا بد لها أن تتغلب على روح الاستسلام والقنوط وما يؤدى اليه من خور فى العزيمة . وأخيراً إن بلوغ هذه الغاية موقوف على نوع الحكومة القائمة فى البلاد وصفاتها ، وذلك لأن واجبات الحكومة فى الوقت الحاضر أكبر شأناً وأعظم أثراً مما كانت فى الماضى . وإن للطريقة التى تؤدى بها هذه الواجبات أثراً بليغاً فى نفوس الشعب لا يعادله أثرها فى الماضى ، ولذلك يهمنا أن نعرف كيف عدل نظام الحكومة البريطانية ذو الشهرة العالمية الكبيرة لكى يتفق مع مقتضيات العهد الذى أعقب الحرب

ليس الجواب عن هذا السؤال مما يسر له الخاطر ؛ فاننا إذا حكمنا على الأشياء بنتائجها تبين لنا أن نظام الحكم البريطانى أقل نجاحاً من النظام الفرنسى أو الألمانى الحديث فى بعث روح النشاط القومى الموحد وفى قيادة الأمة فى هذه الأوقات العصيبة ؛ وإذا حكمنا على هذا النظام بأثره فى أخلاق الناس من كافة الطبقات

رأينا أنه لم يخلق زعماء أنجادا قادرين على التفكير والانشاء ينالون ثقة الأمة ويتحملون التبعات أمثال شترزمان فى ألمانيا ، أو بوانكريه وبريان فى فرنسا (رغم ما فيهم من نقص) . وقصارى القول إن هذا النظام لم يفلح فى إشعار الأمة بحاجتها إلى توحيد جهودها وخلق الزعماء الذين يقودونها فى بذل هذه الجهود

وقد يكون سبب هذا العجز أن بريطانيا الآن تواجه عهداً جديداً بأداة حكومية لا تستطيع أن تعالج ما فيه من المشاكل . ويلوح أن السياسة البريطانيـة يسيطر عليها أكثر مما يجب التنافس الدائم على السلطة بين الأحزاب المختلفة التى لا يبذل كل منها جهده فى العمل الانشائى المنتج بل فى التشهير بغيره وكشف عيوبه ونقائصه . لسنا ننكر أن الأحزاب السياسية أداة ضرورية للحكم الديمقراطى ، ولكن يلوح أن نظام الأحزاب البريطانية جامد خال من المرونة يجعل المشرفين على سياستها شرذمة قليلة من الزعماء المطلق التصرف يستغلون بوضع خطط الحزب ، ولا ينفك أتباعهم أنفسهم يضمرون فى نفوسهم الثورة عليهم وإن أطاعوهم فى إعطاء أصواتهم ، وذلك لأن هؤلاء الزعماء يتكرون عليهم حرية المناقشة بله حرية العمل

لقد تكلمنا من قبل عما طرأ على نظام الحكم البريطانى من تغيير ، وقلنا إن أهم مظاهر هـذا الحكم مظهران : أولهما تركيز السلطة جميعها من تشريعية ومالية وإدارية فى يد وزارة حزبية قليلة العدد أوقرت ظهرها المسئوليات الجسيمة التى أخذتها على عاتقها فأصبحت عاجزة عن النظر الى حاجات الأمة نظرة واسعة المدى . وثانيهما حرمان البرلمان من كل سلطة إلا من اشراف صورى محض على أعمال الحكومة حتى صار عمله فى الحقيقة مقصوراً على نقدها . إن فى وسع البرلمان أن يشهر بأعمال الحكومة ويعطلها . ولكنه ممنوع من أن يعمل شيئاً من عنده لاصلاحها فلا عجب والحالة هذه إذا لم يكن فى الامكان مواجهة الطوارىء القومية الخطيرة وعلاجها علاجاً ناجحاً . وإذا شاءت بريطانيا أن تنازل الصعاب التى قامت بعد الحرب وهى واثقة من النجاح كان عليها كما يلوح أن تبدأ باصلاح زعامتها وأدواتها الحكومية

٢ — الامبراطورية البريطانية

تتألف الامبراطورية البريطانية من ثلاثة عناصر مختلفة : أولها الأملاك العظيمة التى تحكم نفسها بنفسها ، وهى أملاك كانت منذ زمن طويل ولا تزال حتى الآن دولاً مستقلة كل ما بينها وبين بريطانيا من روابط أنها تدين معها بالطاعة لتاج واحد ، وأنها تشترك معها فيما تتمتع به من نظم الحرية . وثانى هذه العناصر هو البلدان الشرقية ذات الحضارة القديمة ، وهى الهند وسيلان وبلاد الملايو ؛ وهى بلاد للحكومة البريطانية عليها إشراف مباشر أكبر مما لها على البلدان الأولى ، وإن كانت هذه البلدان أيضاً أخذت تطالب بحقها فى حكم نفسها بنفسها ونالت بعض هـذا الحق فى السنين الأخيرة . والعنصر الثالث أجزاء الامبراطورية المحكومة ، وتشمل أصقاعا واسعة فى أفريقية لم تنضم إلى الامبراطورية إلا فى خلال الخمسين سنة الأخيرة . وهذه الأملاك تسيطر عليها الحكومة البريطانية سـيطرة فعلية بأشكال مختلفة . هذه الامبراطورية العجيبة التكوين التى تشمل ربع مساحة المعمورة وربع سكانها ، ليست موحدة التركيب ولا النظام ، وليست لها قوة مركزية فعالة تفرض طاعتها على هذه الأجزاء ، اللهم إلا قوة الأسطول . ولقد أخذ شكل هذه الامبراطورية منذ عام ١٨٣٠ يتغير تغيراً مضطرباً حسب الظروف ، ويتحول بالتدريج من امبراطورية بالمعنى الصحيح إلى ما يسمونه الآن أسرة من الأمم

على أن هذه الامبراطورية كانت إلى ماقبل الحرب بقليل وحدة متماسكة من ناحيتين مهمتين على أقل تقدير ، فقد كان لها سياسة خارجية واحدة تسيرها كلها (هويت هول) ؛ وكانت جميع أجزائها حتى الأملاك المستقلة التى كانت الروح القومية تضطرم فيها راضية بترك العلاقات الخارجية فى يد وزارة الخارجية البريطانية ، وذلك لقلة دراية هذه الأجزاء وقلة اهتمامها بمشاكل أوربا ، واعتقادها أن لا شأن لها بهذه المشاكل ؛ ولم يؤخذ رأى مندوبى الأملاك المستقلة فى السياسة الخارجية إلا فى السنين المضطربة التى سبقت الحرب عندما اشتد الخطر الألمانى ، فعقد المؤتمران الامبراطوريان فى عامى ١٩٠٧ و ١٩١١ ؛ على أنه حتى فى ذلك الوقت لم تتخذ وسائل رسمية لتنظيم طرق هذه الاستشارة أو الادارة العامة ،

وبقى وزير خارجية بريطانيا هو نفسه وزير خارجية الأمبراطورية جميعها . كذلك كانت الامبراطورية كلها تعتمد على نظام مشترك للدفاع عن جميع أجزائها ، وكان عبء هذا الدفاع يكاد يقع كله على عاتق بريطانيا ، كما كانت أداته الفعالة بطبيعة الحال هى الدستور الذى يحفظ طرق المواصلات البحرية بين مختلف أجزاء الأمبراطورية مفتوحة . والذى جعل للأسطول هذه الأهمية أن الأمبراطورية البريطانية لا يستطاع غزوها براً إلا من مكان واحد هو حدود الهند الشمالية الغربية ؛ فلما بدأت بريطانيا تخاف ألمانيا قبيل الحرب تبادلت أجزاء الأمبراطورية الرأى لأول مرة فى شؤون الدفاع ، واشتركت الأملاك المستقلة بعض الاشتراك فى نفقات الأسطول ، واتبع فى تنظيم القوات الحربية القليلة التى كانت هذه الأملاك تحتفظ بها نظام الجيش البريطانى ؛ وكان هذا الجيش قد أعيد تنظيمه قبل ذلك الوقت على يد اللورد هلدين ، ولكنه مع ذلك لم توضع خطة للدفاع الامبراطورى ، كما أنه لم تكن ثمة استشارة امبراطورية فى الشؤون الخارجية

وكان كثير من الناس يتوقعون أن الامبراطورية ستنهار وتتقطع أوصالها إذا ما لاح شبح الحرب لسبب ما هى عليه من ضعف فى النظام . وكانت ألمانيا بوجه خاص تتوقع أن تنفض الأملاك المستقلة يدها من النزاع ، وأن يندلع فى الهند لهيب الثورة ؛ وأن الأملاك الجديدة فى أفريقية وغيرها من القارات سيحتاج الاحتفاظ بها الى قوى كبيرة . لكن مجرى الحوادث بدد هذه الأوهام ، وكان من أعظم مظاهر الحرب ما تجلى من روح الاخلاص الاجماعى الحماسى فى كل جزء من أجزاء الامبراطورية تقريباً ، وما ضحت به هذه الأجزاء من أنفس وأموال تقدمت بها الشعوب فى أطراف الأرض عن رضا وطيب خاطر ، فقد جندت كندا وزيلندة الجديدة وأستراليا جميع رجالها تقريبا . ولما تمردت طوائف البوير الشاكسة فى جنوب أفريقية أخمد البوير أنفسهم هذا التمرد على الفور ، ثم بذل الشعبان اللذان تتكون منهما تلك البلاد جهدا عظيما فى الاستيلاء على المستعمرات الألمانية ، وأرسلا كتائب من بلادها الى خنادق فرنسا . وفى الهند سكن الاضطراب السياسى الذى كان منتشرا قبل الحرب وأرسلت منها الى فرنسا وفلسطين والعراق والصين جيوش لم ترسل الهند مثلها من قبل الى ميادين القتال ، ولاح أن الحرب ومحنها أثبتت صلاحية نظام الأمبراطورية الحر الطليق على الرغم من تراخيه وقلة تماسكه . لكن ضخامة هذه التضحيات بدل موقف الامبراطورية بأزاء مشاكل الدفاع والسياسة الخارجية ، وأحدث فى بناء هذه الامبراطورية تطورات غاية فى الأهمية ، فلم يعد فى الامكان بعدئذ أن تعالج هذه الأمور وكأنها لا تعنى الأجزاء النائية من الامبراطورية ، بل كان لابد من استشارة ممثليها بوسيلة من الوسائل إذا أريد أن تبقى هذه قائمة

وفضلا عن ذلك فقد شعرت الهند ، وكان لابد أن تشعر ، أنها بعد أن اضطلعت فى الحرب بهذا العمل الخطير قد قويت حجتها فى أن يؤخذ رأيها عن طريق الموظفين البريطانيين الذين يديرون دولاب حكومتها ، وأن يعترف بأنها وحدة قائمة بذاتها ، وأن تتمتع بما يتمتع به غيرها من أجزاء الامبراطورية من حقوق الاستقلال الداخلى ؛ وبذلك كانت الحرب سبباً فى تقوية الحركة القومية فى الهند وفى غيرها من أجزاء الامبراطورية

(البقية فى العدد القادم) محمد بدران

صدرت الطبعة السادسة من كتاب :

تاريخ الأدب العربى

فى جميع عصوره

بقلم الأستاذ أحمد حسن الزيات

وهذه الطبعة تقع فى زهاء خمسمائة صفحة من القطع المتوسط ، وتكاد — لما طرأ عليها من الزيادة والتنقيح — تكون مؤلفا جديداً

الثمن ٢٠ قرشا عدا أجرة البريد